مَن مَنَازِلِ السَّائِرِينَ
إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ

دَوْرَةُ الْمُعْتَكِفِ

لِعَامِ ١٤٤٧ هِجْرِيًّا / ٢٠٢٦ ميلاديا

اللَّهُمَّ أَتِمَّهُ عَلَى خَيْرٍ / آمِين

تهذيب وبيان

أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ نَبِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ شَمْسِ الدِّينِ

دار التوحيد

مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ مدبرِ الليالي والأيام، ومصرف الشهور والأعوام، وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضَلُ الأنام، صلَّى الله عليه وعلى صاحبه أبي بكرٍ السابق إلى الإسلام، وعلى عمَرَ الَّذِي إذا رآه الشيطانُ هَام، وعلى عثمانَ الَّذِي جهَّزَ بمالِه جيشَ العُسْرةِ وأقام، وعلى عليٍّ الْبَحْرِ الخِضَمِّ والأسَدِ الضِّرْغَام، وعلى سائر آلِهِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ على الدوام، وسلَّم تسليماً، وبعد:

فهذا تهذيب لما ورد في كتاب (مدارج السالكين) وقد انتقيتُ منه عشرَ منازل لأقفَ مع كل ليلة من ليالي العشر الأواخر مع مترلة منها، ولم أراعِ الترتيبَ حسبما ورد في الأصل، وإنما أردت أنْ ألفت إلى أهميةِ هذا الكتابِ ولأتناوله بالبيان والتوضيح –إن شاء الله تعالى– بعد موسم رمضان على قناة طويلب علم على التلجرم

فمن مصنفات العلامة ابن القيم رحمه الله، المهمة: كتابه الماتع النافع "مدارج السالكين في منازل السائرين"، الذي شرح فيه كتاب "منازل السائرين" للإمام الهروي، رحمه الله

وكتاب منازل السائرين، للإمام الهروي، فيه حق وباطل:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ذكر في كتابه "منازل السائرين" أشياء حسنة نافعة وأشياء باطلة، ولكن هو فيه ينتهي إلى الفناء في توحيد الربوبية، ثم إلى التوحيد الذي هو حقيقة الاتحاد

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: له نفس عجيب، لا يُشبه أئمة السلف في كتابه منازل السائرين، ففيه أشياء مُطربة، وفيه أشياء مشكلة، ومن تأمله لاح له ما أشرتُ إليه، والسنة المحمدية صلفة، ولا ينهض الذوق والوجد إلا على تأسيس الكتاب والسنة....ويا ليته لا صنّف ذلك

وقال الشيخ عبد الله محمد عثمان الأنصاري: كدره بما أورده من أشياء مشكله ومضطربه يخالف ظاهرها عقيدة السلف

وقال الشيخ يوسف الطريف: فيه أشياء غير محمودة

ولوجود هذه الأشياء الباطلة في كتاب الإمام الهروي فإن العلامة ابن القيم تعقبه في المواضع التي زلّ فيها، وقد أثنى على كتاب العلامة ابن القيم كثير من أهل العلم:

- قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: جليل القدر
- وقال العلامة محمد حامد الفقي رحمه الله: من خير ما كتبه وحسبك بابن القيم في تهذيب النفوس والأخلاق والتأدب بآداب المتقين الصادقين.
- وقال العلامة محمد صالح العثيمين رحمه الله: سورة الفاتحة...لا أحسن من الشرح الذي شرحه إيّاها ابن القيم رحمه الله في أول مدارج السالكين، فإنه قد أتى من معانيها بالعجب العجاب الذي لا تجده في أي كتاب.
- وقال فضيلة الشيخ صالح عبد العزيز آل الشيخ: خلص -رحمه الله فيه- كلام السلف من أدران كلام المتصوفة، وجعله كلاماً متسقاً، كلاماً عظيماً، كلاماً جميلاً، فيه إصلاح عبوديات القلب.
- وقال الشيخ عبد العزيز ناصر الجليل: شرح عظيم وميسر لكتاب منازل السائرين ... يغلب على شرحه رحمه الله تعالى الأسلوب السهل والتبسط الشديد لما يصعب فهمه...موسوعة علمية.

والعلامة ابن القيم رحمه الله مع شرحه لكتاب العلامة الهروي يبين الطريق الصحيح لتزكية النفس وتهذيبها، ويتكلم على أعمال القلوب، والمنازل التي يتنقل بينها في السير إلى الله عز وجل، فهو مهم في موضوعه، ويتجلى منهج ابن القيم في هذا الكتاب بأمور، منها:

١- نقل وشرح أقوال شيخ الإسلام الأنصاري.

٢- نقد الأخطاء الموجودة في كلامه، وما زلَّ به قلمه، مع الاعتذار عنه، دون تهجم عليه، ومن أقواله: شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحق أحبّ إلينا منه، وكل من عدا المعصوم، فمأخوذ من قوله ومتروك، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله، ثم نبين ما فيه.

٣- يقف مع المتصوفة وكلامهم، موقف الناقد البصير، يقبل كلام متقدميهم، ويحمله على معانٍ مقبولة شرعًا، ويرفض مقالات المتأخرين، التي تحوي معانٍ غير شرعية.

وبالجملة؛

فكتاب: "مدارج السالكين"، من أنفع الكتب، وأجملها في بابه، ولا أجمل من أن ننقل عبارة الإمام الملا علي القاري فيه، حيث قال: "ومن طالع شرح منازل السائرين، تبين له أنهما (ابن القيم، وابن تيمية) كانا من أكابر أهل السنة والجماعة، ومن أولياء هذه الأمة" اهـ. نقلًا عن مقدمة مدارج السالكين، لمحققه محمد المعتصم بالله البغدادي، والله أعلم.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يقبل منى هذا العمل، وإن كنت قد أصبت فيما فعلت -وهذا ما أرجوه- فهو من توفيق الله لي، وإن كان غير ذلك -وهو من لوازم البشر- فهو تقصيري وجهلي.

تهذيب وبيان

أَبُو عُمَرَ/ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ نَبِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ شَمْسِ الدِّينِ

شِبِينُ الكَوْمِ - الْمَنُوفِيَّةِ - مصر

الليلة الأولى

الشوق

.. أما بعد: فهذه مقتطفات من كلام ابن القيم في شرحه لمنزلة الشوق من كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٥٢)، إذ يقول: (وَمِنْ مَنَازِلِ " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " مَنْزِلَةُ الشَّوْقِ ١

حَقِيقَةُ الشَّوْقِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ} [العنكبوت: ٥]

قِيلَ: هَذَا تَعْزِيَةٌ لِلْمُشْتَاقِينَ، وَتَسْلِيَةٌ لَهُمْ، أَيْ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَائِي فَهُوَ مُشْتَاقٌ إِلَيَّ، فَقَدْ أَجَّلْتُ لَهُ أَجَلًا يَكُونُ عَنْ قَرِيبٍ، فَإِنَّهُ آتٍ لَا مَحَالَةَ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ

وَفِيهِ لَطِيفَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ تَعْلِيلُ الْمُشْتَاقِينَ بِرَجَاءِ اللِّقَاءِ ٢

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ «أَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِكَ» ٣

١- هي من أجلِّ منازل السائرين إلى الله؛ لأن القلب إذا امتلأ شوقًا إلى الله وإلى لقائه صار كلُّ عملٍ يقوم به إنما يفعله حبًّا وطلبًا للقرب من الله.

٢- أي: يجعل الأمل في اللقاء هو الذي يسكّن ألم الشوق، فالشوق في القلب كالنار، ولو لم يكن هناك رجاء اللقاء لاحترق القلب من شدة التلهف.

٣- الشوق وحده قد يحرق القلب، والرجاء وحده قد يورث الفتور، لكن إذا اجتمعا: الشوق يدفعك للسير، الرجاء يخفف عنك الطريق

فَصْلٌ

وَالشَّوْقُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الْمَحَبَّةِ، وَحُكْمٌ مِنْ أَحْكَامِهَا، فَإِنَّهُ سَفَرُ الْقَلْبِ إِلَى الْمَحْبُوبِ فِي كُلِّ حَالٍ

وَقِيلَ: هُوَ اهْتِيَاجُ الْقُلُوبِ إِلَى لِقَاءِ الْمَحْبُوبِ

وَالْمَحَبَّةُ أَعْلَى مِنْهُ، لِأَنَّ الشَّوْقَ عَنْهَا يَتَوَلَّدُ، وَعَلَى قَدْرِهَا يَقْوَى وَيَضْعُفُ

قَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: عَلَامَةُ الشَّوْقِ فِطَامُ الْجَوَارِحِ عَنِ الشَّهَوَاتِ

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ: عَلَامَتُهُ حُبُّ الْمَوْتِ مَعَ الرَّاحَةِ وَالْعَافِيَةِ ١

وهنا مَسْأَلَةُ نِزَاعٍ بَيْنَ الْمُحِبِّينَ، وَهِيَ: أَنَّ الشَّوْقَ هَلْ يَزُولُ بِاللِّقَاءِ أَمْ لَا؟ وَلَا يَخْتَلِفُونَ أَنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَزُولُ بِاللِّقَاءِ، والتحقيق: أَنَّ الشَّوْقَ يُرَادُ بِهِ: حَرَكَةُ الْقَلْبِ وَاهْتِيَاجُهُ لِلِقَاءِ الْمَحْبُوبِ، فَهَذَا يَزُولُ بِاللِّقَاءِ، وَلَكِنْ يَعْقُبُهُ شَوْقٌ آخَرُ أَعْظَمُ مِنْهُ، تُثِيرُهُ حَلَاوَةُ الْوَصْلِ وَمُشَاهَدَةُ جَمَالِ الْمَحْبُوبِ، فَهَذَا يَزِيدُ بِاللِّقَاءِ وَالْقُرْبِ وَلَا يَزُولُ ٢

١- تأمل حال يوسف في مراحل حياته

٢- جمع بعض العلماء بين القولين فقالوا: الشوق نوعان:

١- شوق الطلب: وهو: الشوق قبل اللقاء، هذا يزول عند اللقاء.

٢- شوق المحبة: وهو: شوق القلب للمزيد من القرب، هذا لا ينتهي أبدًا، بل يزداد، مثل إنسان يحب شخصًا جدًا: (كلما جلس معه أحب الجلوس أكثر)

دَرَجَاتُ الشَّوْقِ

قَالَ: وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: شَوْقُ الْعَابِدِ إِلَى الْجَنَّةِ، يَعْنِي: شَوْقَ الْعَابِدِ إِلَى الْجَنَّةِ فَفِيهِ حِكَمٌ ثَلَاثٌ:

أَحَدُهَا: حُصُولُ الْأَمْنِ الْبَاعِثِ عَلَى الْأَمَلِ ١

الثَّانِي: فَرَحُ الْحَزِينِ ٢

الثَّالِثُ: رُوحُ الظَّفَرِ ٣

١- المؤمن يخاف من: (ذنوبه / سوء الخاتمة / الحساب) فإذا تذكّر الجنة حصل في قلبه الأمن والرجاء.

٢- المؤمن قد يكثر حزنه بسبب: (التقصير في الطاعة / كثرة الذنوب / الخوف من الله) لكن عندما يتذكر الجنة يدخل إلى قلبه فرحٌ وأمل.

٣- الإنسان إذا كان يعمل بلا أمل في الوصول: يفتر، ويترك العمل، لكن إذا اشتاق إلى الجنة شعر أنه: يسير إلى غاية عظيمة، ويمكن أن يبلغها، فيتولد في قلبه روح الظفر.

فَصْلٌ

قَالَ: الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: شَوْقٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ زَرَعَهُ الْحُبُّ الَّذِي يَنْبُتُ عَلَى حَافَّاتِ الْمِنَنِ، فَعَلِقَ قَلْبُهُ بِصِفَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، فَاشْتَاقَ إِلَى مُعَايَنَةِ لِطَائِفِ كَرَمِهِ وَآيَاتِ بِرِّهِ وَأَعْلَامِ فَضْلِهِ، وَهَذَا شَوْقٌ:

تَغْشَاهُ الْمَبَارُّ ١

وَتُخَالِجُهُ الْمَسَارُّ ٢

وَيُقَاوِمُهُ الِاصْطِبَارُ٣

فَصْلٌ

قَالَ: الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: نَارٌ أَضْرَمَهَا صَفْوُ الْمَحَبَّةِ ٤

فَنَغَّصَتِ الْعَيْشَ ٥

وَسَلَبَتِ السَّلْوَةُ ٦

وَلَمْ يُنَهْنِهْهَا مَعْزًى دُونَ اللِّقَاءِ ٧

١- أي: هذا الشوق مختلط بالمنافع، فالعبد يشتاق إلى الله لما يناله من إحسانه

٢- الإنسان يفرح بما يناله من: (النعم / الكرامات / اللطف الإلهي)

٣- الشوق هنا: (قوي لكنه ليس طاغيًا على القلب، لذلك يستطيع الإنسان أن: يعيش، ويعمل، ويصبر، دون أن يغلبه الشوق)

٤- أي: نار الشوق قد أُشعلت من محبة خالصة، متعلقة بذات الله وصفاته، لا بالمنافع الدنيوية

٥- أي: حرمت صاحبها من الطمأنينة والاستقرار النفسي، وكأنه لا يجد راحة في أي شيء

٦- أي: أخذت منه كل عزاء أو راحة، فالقلب مشغول بالكامل بمحبوبه

٧- أي: لا شيء يخفف عن قلبه هذا الشوق، حتى أقوى وسائل الصبر أو العزاء الدنيوي، إلا لقاء الله تعالى

الليلة الثانية

الأنسُ باللهِ

.. أما بعد: فهذه مقتطفات من كلام ابن القيم في شرحه لمنزلة الأنس من كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٨١)، إذ يقول: (وَمِنْ مَنَازِلِ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] مَنْزِلَةُ الْأُنْسِ بِاللَّهِ[١]

قَالَ صَاحِبُ "الْمَنَازِلِ" رَحِمَهُ اللَّهُ: وَهُوَ رُوحُ الْقُرْبِ، وَلِهَذَا صَدَّرَ مَنْزِلَتَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: ١٨٦] فَاسْتِحْضَارُ الْقَلْبِ هَذَا الْبِرَّ وَالْإِحْسَانَ وَاللُّطْفَ: يُوجِبُ قُرْبَهُ مِنَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقُرْبُهُ مِنْهُ يُوجِبُ لَهُ الْأُنْسَ، وَالْأُنْسُ ثَمَرَةُ الطَّاعَةِ وَالْمَحَبَّةِ، فَكُلُّ مُطِيعٍ مُسْتَأْنِسٌ، وَكُلُّ عَاصٍ مُسْتَوْحِشٌ، كَمَا قِيلَ:

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَوْحَشَتْكَ الذُّنُوبُ ... فَدَعْهَا إِذَا شِئْتَ وَاسْتَأْنِسِ

وَالْقُرْبُ يُوجِبُ الْأُنْسَ وَالْهَيْبَةَ وَالْمَحَبَّةَ

١- قال الفضيل: "طُوبى لمن استوحش مِنَ النَّاسِ، وكان الله جليسَه".

الدَّرَجَةُ الْأَوْلَى: الْأُنسُ بِالشَّوَاهِدِ

وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ، الدَّرَجَةُ الْأُولَى: الْأُنْسُ بِالشَّوَاهِدِ، وَهُوَ اسْتِحْلَاءُ الذِّكْرِ، وَالتَّغَذِّي بِالسَّمَاعِ، وَالْوُقُوفُ عَلَى الْإِشَارَاتِ، هَذِهِ اللَّفْظَةُ يُجْرُونَهَا فِي كَلَامِهِمْ – أَعْنِي لَفْظَةَ الشَّوَاهِدِ – وَمُرَادُهُمْ بِهَا أَمْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: الْحَقِيقَةُ، وَهِيَ مَا يَقُومُ بِقَلْبِ الْعَبْدِ، حَتَّى كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ وَيُبْصِرُهُ لِغَلَبَتِهِ عَلَيْهِ ١، فَكُلُّ مَا يَسْتَوْلِي عَلَى قَلْبِ صَاحِبِهِ ذَكَرَهُ: فَإِنَّهُ شَاهِدُهُ

فَمِنْهُمْ مَنْ: يَكُونُ شَاهِدُهُ الْعَمَلَ ٢

وَمِنْهُمْ مَنْ: يَكُونُ شَاهِدُهُ الذِّكْرَ

وَمِنْهُمْ مَنْ: يَكُونُ شَاهِدَهَ الْمَحَبَّةُ

وَمِنْهُمْ مَنْ: يَكُونُ شَاهِدُهُ الْخَوْفَ

فَالْمُرِيدُ: يَأْنَسُ بِشَاهِدِهِ، وَيَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ

وَالثَّانِي: شَاهِدُ الْحَالِ، وَهُوَ الْأَثَرُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ، وَيَظْهَرُ عَلَيْهِ مِنْ عَمَلِهِ، وَسُلُوكِهِ وَحَالِهِ، فَإِنَّ شَاهِدَهُ لَا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ

وَمُرَادُ صَاحِبِ "الْمَنَازِلِ": الشَّاهِدُ الْأَوَّلُ، الَّذِي يَأْنَسُ بِهِ الْمُرِيدُ، وَهُوَ الْحَامِلُ لَهُ عَلَى اسْتِحْلَاءِ الذِّكْرِ، طَلَبًا لِظَفَرِهِ بِحُصُولِ الْمَذْكُورِ، فَهُوَ يَسْتَأْنِسُ بِالذِّكْرِ طَلَبًا لِاسْتِئْنَاسِهِ بِالْمَذْكُورِ، وَيَتَغَذَّى بِالسَّمَاعِ كَمَا يَتَغَذَّى الْجِسْمُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ

١- الشاهد القلبي (الحقيقة الباطنة): وهو الأمر الذي يستولي على القلب حتى يصير كالمشاهَد له

٢- الشاهد = الشيء الغالب على قلبك، الذي يملأ تفكيرك، ويحرّك مشاعرك، ويقود سلوكك

– فَإِنْ كَانَ مُحِبًّا صَادِقًا، طَالِبًا لِلَّهِ، عَامِلًا عَلَى مَرْضَاتِهِ: كَانَ غِذَاؤُهُ بِالسَّمَاعِ الْقُرْآنِيِّ، الَّذِي كَانَ غِذَاءَ سَادَاتِ الْعَارِفِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَصَحَّهَا أَحْوَالًا، وَهُمُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

– وَإِنْ كَانَ مُنْحَرِفًا فَاسِدَ الْحَالِ، مَلْبُوسًا عَلَيْهِ، مَغْرُورًا مَخْدُوعًا: كَانَ غِذَاؤُهُ بِالسَّمَاعِ الشَّيْطَانِيِّ، الَّذِي هُوَ قُرْآنُ الشَّيْطَانِ، الْمُشْتَمِلُ عَلَى مَحَابِّ النُّفُوسِ، وَلَذَّتِهَا وَحُظُوظِهَا، وَأَصْحَابُهُ: أَبْعَدُ الْخَلْقِ مِنَ اللَّهِ، وَأَغْلَظُهُمْ عَنْهُ حِجَابًا وَإِنْ كَثُرَتْ إِشَارَاتُهُمْ إِلَيْهِ .... فَلَوْ جِئْتَهُ بِأَلْفِ آيَةٍ وَأَلْفِ خَبَرٍ لِمَا أَعْطَاكَ شَطْرًا مِنْ إِصْغَائِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُ أَعْظَمَ مِنَ الظَّوَاهِرِ الَّتِي يُعَارِضُ بِهَا الْفَلَاسِفَةُ وَأَرْبَابُ الْكَلَامِ

هَذَا السَّمَاعُ الرَّوْحَانِيُّ تَبَعٌ لِحَقِيقَةِ الْقَلْبِ وَمَادَّتِهِ مِنْهُ، فَالِاتِّحَادُ بِهِ يَظُنُّ بِهِ السَّامِعُ: أَنَّهُ أَدْرَكَ ذَلِكَ الْمَعْنَى لَا مَحَالَةَ مِنَ الصَّوْتِ الْخَارِجِيِّ. وَسَبَبُ ذَلِكَ اتِّحَادُ السَّمْعِ بِالْقَلْبِ.

الدَّرَجَةُ الثانِيَةُ: الْأُنسُ بِنُورِ الْكَشْفِ

وَهُوَ أَنَسٌ شَاخِصٌ عَنِ الْأُنْسِ الْأَوَّلِ ١

الدَّرَجَةُ الثالِثَةُ: أُنسُ اضْمِحْلَالٍ فِي شُهُودِ الْحَضْرَةِ

أُنْسُ اضْمِحْلَالٍ فِي شُهُودِ الْحَضْرَةِ، لَا يُعَبَّرُ عَنْ غَيْبِهِ، وَلَا يُشَارُ إِلَى حَدِّهِ، وَلَا يُوقَفُ عَلَى كُنْهِهِ ٢، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

١- ما هو "نور الكشف"؟ هو انكشاف معاني الإيمان وحقائق أسماء الله وصفاته للقلب، ليس رؤية بعين الرأس، بل: فهم عميق، حضور قوي، إحساس بقرب الله، إدراك معاني أسمائه مثل: الجميل، الودود، اللطيف، الرحيم، هذا من باب المعرفة.

٢- الاضمحلال: يعني: الذوبان أو الغياب، ليس اختفاء حقيقي، بل غياب شعور العبد بنفسه.

شهود الحضرة: الحضرة = مقام القرب من الله، وشهود الحضرة = استغراق القلب في مراقبة الله وملاحظته، يعني: القلب يكون مشغولًا بالله وحده، لا يرى غيره.

المعنى كامل: هي حالة: يستغرق فيها القلب في شهود عظمة الله حتى يضعف إحساسه بنفسه، كأنه نسي نفسه من شدة انشغاله بالله.

تنبيه: ابن القيم لا يقبل الفناء الذي: يذهب بالعقل أو يسقط التكاليف أو يخرج عن الشريعة، بل يقصد: فناء الشعور بالنفس لا فناء الوجود.

هل هذه المرتبة مطلوبة لكل أحد؟ لا، هذه أحوال: تعرض لبعض السالكين، وليست شرطًا للكمال، وأكمل الخلق ﷺ لم يكن على هذا النحو من الذهول، بل كان ﷺ: حاضر القلب، ثابت العقل، كامل الاتزان.

الليلة الثالثة
الثقة باللّه تعالى

.. **أما بعد:** فهذه مقتطفات من كلام ابن القيم في شرحه لمنزلة الثقة بالله تعالى من كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١٤٢) إذ يقول: (وَمِنْ مَنَازِلِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] مَنْزِلَةُ الثِّقَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ صَاحِبُ "الْمَنَازِلِ":

(الثِّقَةُ: سَوَادُ عَيْنِ التَّوَكُّلِ١

وَنُقْطَةُ دَائِرَةِ التَّفْوِيضِ٢

وَسُوَيْدَاءُ قَلْبِ التَّسْلِيمِ٣

وَصَدَّرَ الْبَابَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى لِأُمِّ مُوسَى: {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي} [القصص: ٧] ٤

١- كما أن سواد العين هو أشرف ما فيها، وبه يكون الإبصار، فكذلك الثقة هي الجزء الأعمق في التوكل.

٢- ابن القيم يشبّه الثقة بالنقطة التي في وسط الدائرة، الدائرة = التفويض، المركز = الثقة، كل أجزاء التفويض تدور حول هذه النقطة.

٣- معنى "قلب التسليم": التسليم = أن تقبل حكم الله بلا اعتراض، أن تقول بقلبك: (يا رب، اخترتَ لي هذا، وأنا راضٍ بحكمك).

٤- هذا المشهد من أعجب مشاهد الثقة: تخيّل: (أمٌّ / رضيع / نهر جارٍ / حاكم طاغية يقتل الأطفال) ومع ذلك تلقي ولدها في الماء! هذا ليس تهورًا، وليس يأسًا، بل ثقة بوعد الله.

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: دَرَجَةُ الْإِيَاسِ

وَهِيَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ: الدَّرَجَةُ الْأُولَى: دَرَجَةُ الْإِيَاسِ ١ وَهُوَ:

- إِيَاسُ الْعَبْدِ عَنْ مُقَاوَمَاتِ الْأَحْكَامِ ٢
- لِيَقْعُدَ عَنْ مُنَازَعَةِ الْأَقْسَامِ ٣
- لِيَتَخَلَّصَ مِنْ قِحَةِ الْإِقْدَامِ ٤

١- انتبه: "الإياس" هنا ليس يأسًا من رحمة الله، فهذا مذموم، وإنما هو يأس من منازعة قضاء الله.

٢- "الأحكام" = قضاء الله وقدره / "مقاومتها" = أن يعترض القلب أو يصارع القدر.

٣- "الأقسام" = ما قُسِم للناس من رزق، علم، مكانة، طاعة، نجاح... منازعة الأقسام تعني: (الحسد / الغيرة المؤذية / التنافس المحموم على ما في أيدي الناس / كأنك تقول: هذا كان يجب أن يكون لي)

٤- القِحَة = الجرأة الوقحة، أي: التجرؤ بلا حياء ولا توقير، ابن القيم يريد أن يقول: (الإنسان أحيانًا يتعامل مع القدر بوقاحة خفية) كيف؟ (حين: يتذمر من قسمته / ينازع غيره على رزقه / يندفع وراء ما لم يُكتب له كأنه يجبر القدر).

الدَّرَجَةُ الثانِيَةُ: دَرَجَةُ الْأَمْنِ

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: دَرَجَةُ الْأَمْنِ،

وَهُوَ أَمْنُ الْعَبْدِ مِنْ فَوْتِ الْمَقْدُورِ، وَانْتِقَاضِ الْمَسْطُورِ ١

فَيَظْفَرُ بِرَوْحِ الرِّضَا٢

وَإِلَّا فَبِعَيْنِ الْيَقِينِ٣

وَإِلَّا فَبِلُطْفِ الصَّبْرِ٤

١- فَوْت المقدور: يعني: أن تخاف أن يضيع منك ما قدّره الله لك.

انتقاض المسطور: أي: أن تخاف أن يُمحى أو ينقص ما كُتب لك في اللوح.

٢- روح الرضا = راحته ولذته، لأن الإنسان إذا أمن من ضياع نصيبه: لا يقلق على المستقبل، لا يحترق مقارنة بالناس، لا يعيش في فزع دائم

٣- فإن لم يستطع ⟵ بعين اليقين، يعني: قد لا تصل لفرحٍ كامل بالقدر، لكن يكون عندك يقين قوي جدًا أن هذا من الله، القلب ثابت، لكن ليس في لذة عالية.

٤- فإن لم يستطع ⟵ بلطف الصبر، أقل درجة: أن تصبر فقط، مع وجود ألم، لا اعتراض، لكن لا راحة كاملة.

الدَّرَجَةُ الثالِثةُ: مُعَايَنَةُ أَزَلِيَّةِ الْحَقّ

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: مُعَايَنَةُ أَزَلِيَّةِ الْحَقِّ ١

لِيَتَخَلَّصَ مِنْ مِحَنِ الْقُصُودِ ٢

وَتَكَالِيفِ الْحِمَايَاتِ ٣

وَالتَّعْرِيجِ عَلَى مَدَارِجِ الْوَسَائِلِ ٤ والله أعلم

١- أزلية الحق: أي أن الله سبحانه: هو الأول بلا بداية، وعلمه سابق لكل شيء، وقد فرغ من كتابة المقادير قبل خلق الخلق، كما في الحديث: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

٢- محن القصود = آلام التعلّق الشديد بالأهداف، الإنسان أحيانًا: يرهق نفسه نفسيًا / يتعذب / يعيش قلقًا مستمرًا / لأنه متعلق بهدف معين تعلقًا مؤلمًا، أما صاحب هذه الدرجة، فهو يعمل، لكن قلبه غير معذَّب.

٣- "وتكاليف الحمايات": يعني: يتخلّص من الإفراط في الاحتراز المرهِق، بعض الناس يعيشون في خوف دائم: (خوف من الفقر / خوف من المرض / خوف من الفشل / خوف من فقدان المكانة) كأنهم يريدون حماية أنفسهم من كل مكروه.

لكن انتبه: ابن القيم نبّه أن هذا ليس معناه ترك الأسباب.

٤- التعريج = الوقوف الطويل، المعنى: لا يقف عند الوسائل وينسى الغاية، مثال: (الصلاة وسيلة لرضا الله / العلم وسيلة / الدعوة وسيلة / العمل وسيلة) فلا ينشغل بالوسيلة حتى تصير هي المقصود، هو يسير بها إلى الله، لكن قلبه مع الله، لا مع الوسيلة.

التنبيه المهم جدًا: قال ابن القيم: هذا ليس على إطلاقه، لماذا؟ لأن الوسائل نوعان:

أ- وسائل موصلة لرضا الله: فهذه: يجب معرفتها والعمل بها وإيثارها، وهذا عين العبودية.

ب- وسائل دنيوية بحتة: فهذه لا يتوقف عندها قلبه.

الليلة الرابعة
التفويض

.. أما بعد: فهذه مقتطفات من كلام ابن القيم في شرحه لمنزلة التفويض من كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١١٨، إذ يقول: (وَمِنْ مَنَازِلِ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] مَنْزِلَةُ التَّفْوِيضِ

قَالَ صَاحِبُ "الْمَنَازِلِ": وَهُوَ أَلْطَفُ إِشَارَةً، وَأَوْسَعُ مَعْنًى مِنَ التَّوَكُّلِ، فَإِنَّ التَّوَكُّلَ بَعْدَ وُقُوعِ السَّبَبِ، وَالتَّفْوِيضُ قَبْلَ وُقُوعِهِ وَبَعْدَهُ١. وَهُوَ عَيْنُ الِاسْتِسْلَامِ، وَالتَّوَكُّلُ شُعْبَةٌ مِنْهُ ٢

دَرَجَاتُ التَّفْوِيضِ

قال: وَهُوَ عَلَى ثلاثِ دَرَجَاتٍ:

الْأُولَى: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَمْلِكُ قَبْلَ عَمَلِهِ اسْتِطَاعَةً ٣

فَلَا يَأْمَنُ مِنْ مَكْرٍ

وَلَا يَيْأَسُ مِنْ مَعُونَةٍ ٤

١- يَعْنِي بِالسَّبَبِ: الِاكْتِسَابَ، فَالْمُفَوَّضُ قَدْ فَوَّضَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ اكْتِسَابِهِ وَبَعْدَهُ. وَالْمُتَوَكِّلُ قَدْ قَامَ بِالسَّبَبِ، وَتَوَكَّلَ فِيهِ عَلَى اللَّهِ، فَصَارَ التَّفْوِيضُ أَوْسَعُ

٢- التفويض هو: إلقاء تدبير النفس إلى الله، مع الثقة بكفايته، والرضا بحكمه، والعمل بأمره

٣- أي: العبد لا يملك القدرة على الفعل استقلالًا، بل: (قدرته / نيته / عزمه / توفيقه) كلها بيد الله

٤- إذا كان الله هو الذي: (يخلق، ويرزق، ويعين، ويهدي) فكيف ييأس العبد من معونته؟

وَلَا يُعَوِّلُ عَلَى نِيَّةٍ ١

وَمَنْ فَهِمَ هَذَا فَهِمَ بَابًا عَظِيمًا مِنْ سِرِّ الْقَدَرِ، وَانْجَلَتْ لَهُ إِشْكَالَاتٌ كَثِيرَةٌ

فَصْلٌ

قَالَ: الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: مُعَايَنَةُ الِاضْطِرَارِ ٢

فَلَا يَرَى عَمَلًا مُنْجِيًا ٣

وَلَا ذَنْبًا مُهْلِكًا ٤

وَلَا سَبَبًا حَامِلًا ٥

١- لا يعتمد على: (صدق نيته / عزمه / حماسه / تخطيطه) لأن: نيته نفسها بيد الله، كم من إنسان: (نوى قيام الليل ثم نام ونوى التوبة ثم فتر) و(نوى الثبات ثم انقلب) فلو كانت النية بيده لاستقرت، ولهذا قال بعض السلف: القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن

٢- ليست مجرد معرفة نظرية أنك فقير إلى الله، بل مشاهدة قلبية حاضرة أنك: لا تقوم لحظةً إلا به، ولا تنجو إلا به، ولا تثبت إلا به.

٣- أي: لا يعتمد على عمله في النجاة، ليس معناه أنه يترك العمل، بل معناه أنه: لا يرى أن صلاته تُنجيه بذاتها، ولا أن دعوته تُنجيه، ولا أن علمه يكفيه.

٤- حرر ابن القيم المعنى بدقة، إن قصد أن الذنب لا يؤثر في الهلاك، فهذا باطل، فالذنوب سبب الهلاك، لكن المقصود الصحيح: أن العبد إذا عاين: سعة رحمة الله، وشدة فاقته إليه، وصدق اضطراره، فإنه: لا ييأس مهما عظم ذنبه، ولا يُصر على الذنب حتى يهلك.

٥- أي: لا يرى أن الأسباب هي التي تحمله وتوصله، هو يعمل بالأسباب، لكن يشهد أن: السبب نفسه مخلوق، والقدرة على استعماله مخلوقة، وأثره مخلوق، فالكل محمول بالله.

فَصْلٌ

قَالَ: الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: شُهُودُ انْفِرَادِ الْحَقِّ بِمِلْكِ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ١ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ ٢ وَمَعْرِفَتِهِ بِتَصْرِيفِ التَّفْرِقَةِ وَالْجَمْعِ ٣ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

١- المعنى: أن يشهد القلب أن كل حركة في الكون، وكل سكون فيه، إنما هو صادر عن تقدير الله وتدبيره، ليس المقصود إنكار الأسباب، بل رؤية أن: الحركة لا تقوم بذاتها، ولا السكون يقوم بنفسه، بل الجميع قائم بالله.

٢- يقول ابن القيم: يشهد تعلق الحركة باسم الله "الباسط"، وتعلق السكون باسمه "القابض"، فالله: يبسط الرزق، ويقبضه، يبسط القلوب بالأنس، ويقبضها بالوحشة، يبسط التوفيق، ويقبضه.

٣- التفريق والجمع (المعنى العلمي): ابن القيم يذكر معنيين:

- التفريق (علمًا) هو: نسبة الأفعال إلى العباد من جهة التكليف، فنقول: (صلى زيد / سرق فلان / جاهد خالد) وهذا صحيح شرعًا؛ لأن الله كلّفهم.
- الجمع (علمًا): هو: شهود أن هذه الأفعال مخلوقة لله، فنقول: (الله خالق فعل العبد، وهو المقدر له، وهو المعين عليه، فالعارف الكامل يجمع بين الأمرين:
  - لا يسقط نسبة الفعل إلى العبد (حتى لا يبطل الشرع)
  - ولا يغفل عن نسبة الخلق إلى الله (حتى لا يبطل التوحيد)

التفريق والجمع (حالًا لا علمًا): وهذا أدق.

حال التفريق: أن يتفرق القلب في وديان الإرادات: (يريد دنيا، ويريد مدحًا، ويريد جاهًا، ويريد نجاة، ويريد راحة) فهو مشتت.

حال الجمع: أن يجتمع القلب على إرادة واحدة: مراد الله فقط، فلا يتحرك إلا طلبًا لمرضاته، هذا هو "جمعية القلب"، ولهذا كان السلف يقولون: "أجمع همك لله"

الليلة الخامسة
الهمة

.. أما بعد: فهذه مقتطفات من كلام ابن القيم في شرحه لمنزلة الهمة من كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٥)، إذ يقول: (وَمِنْ مَنَازِلِ "{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]" مَنْزِلَةُ الْهِمَّةِ وَقَدْ صَدَّرَهَا صَاحِبُ الْمَنَازِلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم: ١٧]

وَأَمَّا وَجْهُ تَصْدِيرِ "الْهِمَّةِ" بِهَا: فَهُوَ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ هِمَّتَهُ ﷺ مَا تَعَلَّقَتْ بِسِوَى مَشْهُودِهِ، وَمَا أُقِيمَ فِيهِ، وَلَوْ تَجَاوَزَتْهُ هِمَّتُهُ لِتَبِعَهَا بَصَرُهُ

وَالْهِمَّةُ فِعْلَةٌ مِنَ الْهَمِّ، وَهُوَ مَبْدَأُ الْإِرَادَةِ، وَلَكِنْ خَصُّوهَا بِنِهَايَةِ الْإِرَادَةِ، فَالْهَمُّ مَبْدَؤُهَا، وَالْهِمَّةُ نِهَايَتُهَا ١

قَالَ: وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ، وَالْخَاصَّةُ تَقُولُ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَطْلُبُ، يُرِيدُ: أَنَّ قِيمَةَ الْمَرْءِ هِمَّتُهُ وَمَطْلَبُهُ

قَالَ صَاحِبُ الْمَنَازِلِ: الْهِمَّةُ: مَا يَمْلِكُ الِانْبِعَاثَ لِلْمَقْصُودِ صِرْفًا، لَا يَتَمَالَكُ صَاحِبُهَا، وَلَا يَلْتَفِتُ عَنْهَا ٢

١- مثال توضيحي: قد يهمّ الإنسان بحفظ القرآن ← هذا "همّ"، فإذا صار لا يهدأ حتى يُتمَّه، ويقدِّم له كل شيء ← هذه "همّة"، فالهمّ خطرات/ أما الهمّة فاندفاعٌ مستمرٌّ لا يتراجع

٢- يملك الانبعاث للمقصود: أي تستولي على القلب استيلاءً تامًّا.

صرفًا: أي خالصة لا يشوبها التفاتٌ ولا تردُّد.

لا يتمالك صاحبها: لا يقدر أن يؤجل، ولا يحتمل التأخير.

لا يلتفت عنها: لا تُشغله العوائق ولا الملهيات.

وَصَاحِبُ هَذِهِ الْهِمَّةِ: سَرِيعٌ وُصُولُهُ وَظَفَرُهُ بِمَطْلُوبِهِ، مَا لَمْ تَعُقْهُ الْعَوَائِقُ، وَتَقْطَعْهُ الْعَلَائِقُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ١

دَرَجَاتُ الْهِمَّةِ

الدَّرَجَةُ الأولى

قَالَ: وَهِيَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ: الدَّرَجَةُ الْأُولَى: هِمَّةٌ تَصُونُ الْقَلْبَ عَنْ وَحْشَةِ الرَّغْبَةِ فِي الْفَانِي، وَتَحْمِلُهُ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْبَاقِي، وَتُصَفِّيهِ مِنْ كَدَرِ التَّوَانِي ٢

الزَّاهِدُونَ فِيهَا: إِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِالْبَصَائِرِ، وَالرَّاغِبُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بِالْأَبْصَارِ فَيَسْتَوْحِشُ الزَّاهِدُ مِمَّا يَأْنَسُ بِهِ الرَّاغِبُ، كَمَا قِيلَ:

وَإِذَا أَفَاقَ الْقَلْبُ وَانْدَمَلَ الْهَوَى ... رَأَتِ الْقُلُوبُ وَلَمْ تَرَ الْأَبْصَارُ ٣

وَكَذَلِكَ هَذِهِ الْهِمَّةُ:

- تَحْمِلُهُ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْبَاقِي لِذَاتِهِ، وَهُوَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ، وَالْبَاقِي بِإِبْقَائِهِ: هُوَ الدَّارُ الْآخِرَةُ ٤

١- العوائق: الكسل / التسويف / الشبهات / ضعف اليقين

العلائق: حب المدح / تعلق القلب بالناس / شهوة خفية / خوف فقدان الدنيا

٢- لماذا سمّى الرغبة في الدنيا "وحشة"؟ الدنيا: سمّاها "الفاني" لأنها زائلة، لكن العجيب أنه لم يقل: تصونه عن حبّ الدنيا، بل قال: (عن وحشة الرغبة في الفاني)

٣- الراغب يرى: زخرفة / جمالًا / مالًا / شهرة / أما الزاهد فيرى: سرعة الفناء / تقلب الأحوال / ثمن الانشغال / قصر العمر

٤- الباقي نوعان: الباقي لذاته ⟵ وهو الله سبحانه / الباقي بإبقائه ⟵ وهي الدار الآخرة، والهمّة في هذه الدرجة: لا تكتفي بترك الدنيا، بل تُبدِّل التعلّق، فالقلب لا =

– وَتُصَفِّيهِ مِنْ كَدَرِ التَّوَانِي، أَيْ: تُخَلِّصُهُ وَتُمَحِّصُهُ مِنْ أَوْسَاخِ الْفُتُورِ وَالتَّوَانِي، الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْإِضَاعَةِ وَالتَّفْرِيطِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ١

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: هِمَّةٌ تُورِثُ أَنَفَةً مِنَ الْمُبَالَاةِ بِالْعِلَلِ ٢

وَالنُّزُولِ عَلَى الْعَمَلِ ٣

وَالثِّقَةِ بِالْأَمَلِ ٤

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: هِمَّةٌ تَتَصَاعَدُ عَنِ الْأَحْوَالِ وَالْمُعَامَلَاتِ ٥

= ———————

يعيش في فراغ: إن نزعت منه حبّ الدنيا، و لم تملأه بحبّ الله... عاد إليها، ولهذا قال: تحملُه على الرغبة في الباقي، أي: تدفعه دفعًا.

١- التواني = الفتور، التأجيل، التسويف، فمن أخطر ما يقتل الهمم: "سأبدأ غدًا"، "عندما أرتاح"، "عندما تنتهي الظروف"، الهمّة تصفي القلب من هذا الكدر

٢- ما هي "العِلَل" هنا؟ ليست عِلَلًا فقهية، بل علل القلوب، مثل: (رؤية العمل والإعجاب به / انتظار ثمرته الدنيوية / طلب المترلة به / الالتفات إلى أثره في الناس / مراقبة نتائجه) عند أهل السير هذه كلها علل؛ لأنها تشوب الإخلاص.

٣- ليس المقصود ترك العمل، بل المقصود ترك الاكتفاء بالعمل الظاهر، العالي الهمّة لا يرضى أن يكون: (عابدًا بحركات، أو عاملًا بجوارح فقط) بل يريد: السفر بالقلب إلى الله.

٤- الثقة بالأمل تعني: الاعتماد على طول العمر (التسويف / الركون إلى الرجاء دون عمل) يقول: فإن الثقة توجب الفتور

٥- الأحوال في اصطلاح السالكين: (الخشوع / البكاء / الأنس / اللذة / الشوق / الطمأنينة / الانشراح) هذه آثارٌ تعقب الأعمال، المعاملات هي: (الأعمال نفسها / الطاعات / المجاهدات / الأذكار / الأوراد)

=

وَتُزْرِي بِالْأَعْوَاضِ وَالدَّرَجَاتِ ١
وَتَنْحُو عَنِ النُّعُوتِ نَحْوَ الذَّاتِ ٢ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ

= ———————

"تتصاعد عنها": ليس المقصود تركها، بل المقصود: أن صاحب هذه الهمّة لا يقف عندها، ولا يتعلّق بها. يقوم بها... لكن لا يجعلها غايته.

١- معنى "تزري": أي تستصغر، الأعواض: (الثواب / الحسنات / الجنة / الدرجات / الكرامات) هذه أعواض، أي مقابل العمل، صاحب هذه الهمّة لا يقف عند طلب الجنة فحسب، لا لأن الجنة قليلة -حاشا- لكن لأن مطلوبه أعظم، هو يعلم: إذا حصل له القرب من الله، ففي ضمنه كل الدرجات

٢- النعوت: (الأسماء / الصفات / الأفعال الإلهية) كأن يتأمل: (الرحمة / المغفرة / القدرة / الإحسان) وهذه مقامات عظيمة، لكن صاحب هذه الدرجة: لا يقف عند أثر الصفة فقط، بل يتوجه إلى الذات الإلهية الجامعة.

مثال يقرّب المعنى: طفل يريد من أبيه الهدايا فقط، وطفل يريد أباه، الأول فرح بالعطاء، الثاني فرح بالقرب.

تنبيه: صاحب الدرجة الثالثة يريد الله لذاته، ولا تلغي هذه الدرجة طلب الجنة، بل تعني أن الجنة ليست غايةً منفصلة، بل هي من لوازم القرب، هو يعلم: إذا فاز بالله، فقد فاز بكل شيء.

لماذا هذه الدرجة نادرة جدًا؟ لأن أكثر الناس: يقفون عند الدنيا، أو عند ثواب الآخرة، أو عند لذة الطاعة، أما أن يكون المطلوب هو الله نفسه، فهذا مقام المحبة الخالصة، ولهذا قال ابن القيم: (هذا مقام عزيز).

الليلة السادسة

الفقر

.. أما بعد: فهذه مقتطفات من كلام ابن القيم في شرحه لمنزلة الفقر من كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٠٩)، إذ يقول: (وَمِنْ مَنَازِلِ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]: مَنْزِلَةُ الْفَقْرِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ أَشْرَفُ مَنَازِلِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْقَوْمِ، وَأَعْلَاهَا وَأَرْفَعُهَا، بَلْ هِيَ رُوحُ كُلِّ مَنْزِلَةٍ وَسِرُّهَا وَلُبُّهَا وَغَايَتُهَا، وَهَذَا إِنَّمَا يُعْرَفُ بِمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ الْفَقْرِ، وَالَّذِي تُرِيدُ بِهِ هَذِهِ الطَّائِفَةُ أَخَصَّ مِنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِيِّ، فَإِنَّ لَفْظَ الْفَقْرِ وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ

وَمُرَادُ الْقَوْمِ بِالْفَقْرِ شَيْءٌ أَخَصُّ مِنْ هَذَا كُلِّهِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ الْعُبُودِيَّةِ، وَالِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ حَالَةٍ ١

وَسُئِلَ عَنْهُ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: حَقِيقَتُهُ أَنْ لَا يَسْتَغْنِيَ إِلَّا بِاللَّهِ ٢

وَرَسْمُهُ: عَدَمُ الْأَسْبَابِ كُلِّهَا٣

١- أي: أن تشهد أنك محتاج إلى الله: (في إيمانك / في صلاتك / في رزقك / في ثباتك / في هدايتك / في نفسك وأنفاسك) قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} هذا فقر ذاتي... ليس حالة طارئة.

٢- أي: أن يكون اعتماد القلب على الله وحده، فلا يرى: (رزقه من وظيفته / نجاته من ذكائه / قوته من صحته / مكانته من الناس) بل يرى أن: الأسباب وسائل، والفاعل الحقيقي هو الله

٣- يعني: لا يركن للأسباب (لا يثق في ذكائه / لا يعتمد على منصبه) لكن هل يترك الأسباب؟ لا، بل يأخذ بها دون أن يقف عندها.

فَالْفَقْرُ الْحَقِيقِيُّ: دَوَامُ الِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَأَنْ يَشْهَدَ الْعَبْدَ – فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَّاتِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ – فَاقَةً تَامَّةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَالْفَقْرُ ذَاتِيٌّ لِلْعَبْدِ، وَإِنَّمَا يَتَجَدَّدُ لَهُ لِشُهُودِهِ وَوُجُودِهِ حَالًا، وَإِلَّا فَهُوَ حَقِيقَةٌ، كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ. قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ:

وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٌ أَبَدًا ... كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِيُّ

وَالْفَقْرُ لَهُ بِدَايَةٌ وَنِهَايَةٌ، وَظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، فَبِدَايَتُهُ: الذُّلُّ، وَنِهَايَتُهُ: الْعِزُّ، وَظَاهِرُهُ: الْعَدَمُ، وَبَاطِنُهُ: الْغِنَى

تَعْرِيفُ الْفَقْرِ

قَالَ صَاحِبُ " الْمَنَازِلِ " رَحِمَهُ اللَّهُ: الْفَقْرُ اسْمٌ لِلْبَرَاءَةِ مِنَ الْمَلَكَةِ، عَدَلَ الشَّيْخُ عَنْ لَفْظِ عَدَمِ الْمَلَكَةِ إِلَى قَوْلِهِ: الْبَرَاءَةُ مِنَ الْمَلَكَةِ لِأَنَّ عَدَمَ الْمَلَكَةِ ثَابِتٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لِكُلِّ أَحَدٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى[1]

دَرَجَاتُ الْفَقْرِ

قَالَ وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ: الدَّرَجَةُ الْأُولَى: فَقْرُ الزُّهَّادِ [2]

وَهُوَ قَبْضُ الْيَدِ عَنْ الدُّنْيَا ضَبْطًا أَوْ طَلَبًا [3]

١- مجرد "عدم الملك" يشترك فيه: (المؤمن والكافر والطائع والعاصي) أما "البراءة من الملك": فهو مقام أهل المعرفة بالله.

فقر الاختيار: هو أن تقول بلسان الحال: (نفسي ليست لي / مالي ليس لي / علمي ليس لي / جاهِي ليس لي / قوتي ليست لي) بل كلها لله.

٢- الفقر هنا متعلق بثلاثة أشياء: اليد (الجوارح) / اللسان / القلب)، لأن تعلّق العبد بالدنيا يكون بهذه الثلاثة.

٣- قبض اليد عن الدنيا، وهذا له حالان:

أ- إذا كانت موجودة عنده: ⟵ لا يمسكها شحًّا ⟵ يجود بها

ب- إذا لم تكن عنده: ⟵ لا يطلبها بتكلف ⟵ لا يلهث خلفها

وَإِسْكَاتُ اللِّسَانِ عَنْهَا مَدْحًا أَوْ ذَمًّا ١
وَالسَّلَامَةُ مِنْهَا طَلَبًا أَوْ تَرْكًا ٢
وَهَذَا هُوَ الْفَقْرُ الَّذِي تَكَلَّمُوا فِي شَرَفِهِ، يَعْنِي تَكَلَّمَ فِيهِ أَرْبَابُ السُّلُوكِ.
وَفَضَّلُوهُ وَمَدَحُوهُ ٣

١- إسكات اللسان عنها: قال: لا يمدحها ولا يذمها، لماذا؟ لأن: المادح لها محبٌّ لها، والذام لها غالبًا متحسّر عليها

٢- سلامة القلب منها: وهذا هو الأهم، القلب قد يُفتن بـــ: طلب الدنيا أو ترك الدنيا، وهنا بيت القصيد: ليس كل تاركٍ للدنيا سالمًا.

٣- آفات الأخذ واضحة: التعلق / الطغيان / الغفلة / الكبر

آفات الترك (وهنا الدقة): ذكر وجوهًا عظيمة:

أ- الانشغال الدائم بمجاهدة النفس

ب- التطلع لما في أيدي الناس

ج- الكبر الخفي

طريقة الرسل: الرسل لم يكونوا: رهبانًا ولا منقطعين عن الدنيا، بل: تزوجوا / أكلوا / باشروا الحياة / وجاهدوا / أنفقوا / وكانوا أكمل الخلق فقرًا.

فَصْلٌ

قَالَ: الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: الرُّجُوعُ إِلَى السَّبْقِ بِمُطَالَعَةِ الْفَضْلِ ١

وَهُوَ يُورِثُ الْخَلَاصَ مِنْ رُؤْيَةِ الْأَعْمَالِ

وَيَقْطَعُ شُهُودَ الْأَحْوَالِ ٢

وَيُمَحِّصُ مِنْ أَدْنَاسِ مُطَالَعَةِ الْمَقَامَاتِ ٣

١- السَّبق = ما سبق به القضاء والقدر من فضل الله، أي أن ينظر العبد إلى: أن الله هو الذي اختاره، وهو الذي هداه، وهو الذي وفّقه، وهو الذي أقامه في الطاعة.

٢- الحال: معنى يَرِد على القلب بلا كسب: (خشوع مفاجئ / انكسار / لذة في العبادة / دمعة) هذا حال... موهبة.

المقام: شيء يُكتسب بالمجاهدة: (مقام الصبر / مقام التوكل / مقام الزهد)

٣- لأن النفس قد تقول: (أنا في مقام الرضا / أنا في مقام التوكل / أنا وصلت) وهنا يدخل العجب الخفي، أما إذا نظر إلى الفضل: رأى نفسه دائمًا فقيرًا.

فَصْلٌ

قَالَ الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: الِاضْطِرَارُ ١
وَالْوُقُوعُ فِي يَدِ التَّقَطُّعِ الْوِجْدَانِيِّ ٢
أَوْ الِاحْتِبَاسُ فِي بَيْدَاءِ قَيْدِ التَّجْرِيدِ٣
وَهَذَا فَقْرُ الصُّوفِيَّةِ ٤، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

١- أي أن يعلم العبد، ويذوق بقلبه أنه: لا قيام له، ولا ثبات، ولا نجاة، ولا هداية إلا بالله، وهذا هو المعنى الذي أشار إليه القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ} (فاطر: ١٥)

٢- الوقوع في يد التقطع الوجداني: يقصد به الدخول في ما يسميه الصوفية حضرة الجمع: أي أن يغيب القلب عن ملاحظة الخلق، وينشغل بشهود عظمة الخالق، **لكن ابن القيم ينبه في مواضع كثيرة أن:** هذا الشهود إن ألغى الأمر والنهي فهو نقص، وإن جمع بين الشهود والعبودية فهو الكمال، القرآن يوازن: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فلا جمع بلا عبودية، ولا عبودية بلا استعانة

٣- الاحتباس في بيداء قيد التجريد: التجريد هنا يعني: أن يفنى العبد عن رؤية السِّوى (أي المخلوقات) في شهود قلبه، وسمّاه احتباسًا لأنه: حبس نفسه عن الالتفات إلى الأغيار، قيّدها بشهود الحقيقة، **لكن ابن القيم يميل دائمًا إلى أن الفناء التام ليس هو الكمال،** بل الكمال هو: الفناء عن إرادة السِّوى، مع البقاء في القيام بأمر الله، ولهذا قال إن مشهد البقاء أكمل من مشهد الفناء.

٤- هل التصوف أعلى أم الفقر؟ ذكر ثلاث آراء: أن التصوف أعلى / أن الفقر أعلى / لا يفضل أحدهما على الآخر (قول الشاميين).

وابن القيم يميل إلى أن: الفقر هو الحقيقة، والتصوف إن كان خلقًا وسلوكًا يقود إلى هذا الفقر فهو محمود، وإن كان مجرد اصطلاحات وأذواق بلا التزام بالسنة فهو ناقص.

=

الليلة السابعة
الرياضة

.. **أما بعد:** فهذه مقتطفات من كلام ابن القيم في شرحه لمنزلة الرياضة من كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٧٢)، إذ يقول: (وَمِنْ مَنَازِلِ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] مَنْزِلَةُ الرِّيَاضَةِ

قَالَ صَاحِبُ الْمَنَازِلِ: هِيَ تَمْرِينُ النَّفْسِ عَلَى قَبُولِ الصِّدْقِ

وَهَذَا يُرَادُ بِهِ أَمْرَانِ:

– تَمْرِينُهَا عَلَى قَبُولِ الصِّدْقِ إِذَا عَرَضَهُ عَلَيْهَا فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَإِرَادَتِهِ[١]

– وَالثَّانِي: قَبُولُ الْحَقِّ مِمَّنْ عَرَضَهُ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [الزمر: ٣٣] [٢]

قال: وَهِيَ عَلَى ثلاثِ دَرَجَاتٍ:

١– رِيَاضَةٌ عَامَّةٌ، وَهِيَ تَهْذِيبُ الْأَخْلَاقِ بِالْعِلْمِ[٣]

الميزان الصحيح: القرآن والسنة: النبي ﷺ هو أكمل الخلق فقرًا إلى الله، ومع ذلك: كان يقوم الليل، ويجاهد، ويقضي بين الناس، ويتزوج، ويغضب لله، ويحزن ويفرح، فلم يكن فقره فناءً عن الحياة، بل: كمال عبودية داخل الحياة.

وهذا هو الفرق بين: الفقر المشروع، والفناء المجرد عن الشريعة

١– تمرين النفس على قبول الصدق من نفسها: النفس بطبعها تميل إلى الهوى، وتحب وتحب المدح، وتكره الاعتراف بالخطأ، لذلك تحتاج إلى مجاهدة.

٢– كثير من الناس قد يقول الحق، لكنه إذا قيل له الحق غضب!

٣– أن تكون الأخلاق منضبطة بالعلم الشرعي، لا بالعاطفة، ولا بالهوى، ولا بالعادات، فلا يتحرك الإنسان: بكلمة، ولا بموقف، ولا بردِّ فعل إلا بعد أن يزنه بميزان الشرع، ليس المهم أن تكون طيبًا، بل أن تكون طيبًا على وفق العلم.

وَتَصْفِيَةُ الْأَعْمَالِ بِالْإِخْلَاصِ١

وَتَوْفِيرُ الْحُقُوقِ فِي الْمُعَامَلَةِ٢

٢- قَالَ: وَرِيَاضَةُ الْخَاصَّةِ:

حَسْمُ التَّفَرُّقِ٣

وَقَطْعُ الِالْتِفَاتِ إِلَى الْمَقَامِ الَّذِي جَاوَزَهُ ٤

وَإِبْقَاءُ الْعِلْمِ يَجْرِي مَجْرَاهُ ٥

فَصْلٌ

٣- قَالَ: وَرِيَاضَةُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ:

تَجْرِيدُ الشُّهُودِ١

١- أن تُنقّى الأعمال من كل باعثٍ لغير الله: (لا رياء / لا سمعة / لا طلب مدح / لا خوف لوم) قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}

٢- معناه: أن تؤدي الحقوق كاملة: (حق الله / حق الوالدين / حق الزوجة / حق الأبناء / حق الناس) لا بالحد الأدنى، بل بالكمال الممكن.

٣- معناه: أن تقطع كل ما يُفرّق قلبك عن الله: (تشتّت الهموم / تعلّق القلب بالناس / طلب المنزلة / خوف الفوات / التعلّق بالمخلوقين) حتى يصير القلب: مجموعًا على الله، حاضرًا معه، مقبلًا بكليته عليه.

٤- معناه: إذا ترقّى العبد في مقام: مقام توبة أو زهد أو علم أو عبادة لا يقف عند لذته، ولا يُعجب به، ولا ينشغل بالنظر إليه، بل يتجاوزه طالبًا ما فوقه، لماذا؟ لأن الوقوف في الطريق = تأخر، كما قال ابن القيم: لا وقوف في السير، إما إلى الأمام، وإما إلى الخلف.

٥- معناها: أن يكون العلم هو الحاكم دائمًا: (على الذوق / على الحال / على المشاعر / على الإلهام) فلا تقول: "قلبي يحدثني" / "ذقت حالًا عجيبًا" / "انفتح لي شيء" إذا خالف العلم.

وَالصُّعُودُ إِلَى الْجَمْعِ ٢
وَرَفْضُ الْمُعَارَضَاتِ ٣
وَقَطْعُ الْمُعَاوَضَاتِ ٤، وَاللَّهُ أَعْلَمُ

= _____

١- معناه الصحيح: أن يشهد العبد ربَّه: (بقلبٍ غير ملتفت لغيره، ولا مشغول بنفسه، ولا معجبٍ بشهوده)

٢- الموضوع كله يدور حول سؤال واحد: كيف تنظر إلى الله وإلى أفعاله؟

ابن القيم يقول: الكمال ليس أن تقول: "أنا أترقى حتى لا أشهد الصفات"، بل الكمال أن: كلما ازداد شهودك لمعاني: (الرحمة / العزة / الحكمة / الجلال / الكمال) ازداد إيمانك، يعني: تشهد: رحمته في العفو / حكمته في البلاء / عزته في الانتقام / لطفه في التدبير / علمه في الإحاطة) هذا هو الكمال.

٣- المقصود ببساطة: أن لا يكون في قلبك إرادةٌ أو اعتراضٌ يُعارض ما أراده الله أو حكم به، يعني: الله يريد شيئًا، وأنت تريد عكسه

٤- المعاوضة يعني: أعبدك يا رب مقابل شيء، زي موظف بيشتغل عشان المرتب، لو المرتب اتلغى ⟵ الشغل يقف، فالسؤال: هل العبد يعبد الله بهذه الطريقة؟

ابن القيم لا يقول اترك طلب الجنة: بالعكس... استدل بحديث النبي ﷺ: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس» وهو في صحيح البخاري، إذًا طلب أعلى الجنة مشروع بل مأمور به، طيب أين المشكلة إذًا؟ المشكلة في نوع الشيء المطلوب.

ابن القيم يفرق بين نوعين من الطلب:

أ- طلب ناقص (معاوضة دنيوية): أن تعبد الله لأجل: (الجاه / الرياسة / المال / المدح بين الناس / المترلة عند الخلق) هذا يشبه التاجر: (أصلي عشان ربنا يفتح عليّ) لو ما فتحش؟ يحصل ضعف، هذه عبودية مشروطة بالمكسب.

ب- طلب كامل (عبودية راقية): أن تعبد الله: (لأنه أهل للعبادة / لأنك تحبه / لأنك تريد قربه / لأنك تريد رضاه / لأنك تريد النظر إلى وجهه / لأنك تريد أعلى =

= ــــــــــــــــــــــــــــ

درجات القرب منه) هنا أنت لا تطلب شيئًا منفصلًا عنه، أنت تطلبه هو، وهنا الفرق الكبير جدًا.

الليلة الثامنة

الإنابة

.. أما بعد: فهذه مقتطفات من كلام ابن القيم في شرحه لمنزلة الإنابة من كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٣٢)، إذ يقول:

مَعْنَى الْإِنَابَةِ وَالدَّلِيلُ عَلَيْهَا

فَإِذَا اسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ فِي مَنْزِلِ التَّوْبَةِ نَزَلَ بَعْدَهُ مَنْزِلَ الْإِنَابَةِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَأَثْنَى عَلَى خَلِيلِهِ بِهَا، فَقَالَ {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ} [الزمر: ٥٤] وَقَالَ {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ} [هود: ٧٥] ١

قَالَ صَاحِبُ الْمَنَازِلِ: الْإِنَابَةُ فِي اللُّغَةِ الرُّجُوعُ ٢، وَهِيَ هَاهُنَا الرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ:

١- الرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ إِصْلَاحًا، كَمَا رَجَعَ إِلَيْهِ اعْتِذَارًا ٣

٢- وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ وَفَاءً، كَمَا رَجَعَ إِلَيْهِ عَهْدًا ١

١- ليست الإنابة مجرد ترك الذنب (فهذه توبة)، بل هي إقبالٌ بعد التوبة، ودوامُ رجوعٍ كلما عرض فتورٌ أو غفلة، ولهذا كانت مترلةً بعد التوبة؛ لأن التوبة قطعٌ للذنب، أما الإنابة فهي اتجاه القلب كلِّه إلى الله

٢- الإنابة في أصلها اللغوي: الرجوع، وأمّا في الشرع: (رجوع القلب إلى الله رجوعَ محبٍّ خاضعٍ مُقبِلٍ عليه، مع دوام الطاعة، وترك المعصية، واستحضار مراقبته) معنى الإسراع في الإنابة: اللفظة تتضمن معنى: الرجوع / الإسراع / التقدم

٣- أي: كما رجعتَ إلى الله بالتوبة من الذنب، فلا يكفي الاعتذار، بل لا بد من إصلاح ما فسد

٣- وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ حَالًا، كَمَا رَجَعْتَ إِلَيْهِ إِجَابَةً ٢

وَالْإِنَابَةُ إِنَابَتَانِ:

- إِنَابَةٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ، وَهِيَ إِنَابَةُ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا، يَشْتَرِكُ فِيهَا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} [الروم: ٣٣] ٣

- وَالْإِنَابَةُ الثَّانِيَةُ: إِنَابَةُ أَوْلِيَائِهِ، وَهِيَ: إِنَابَةٌ لِإِلَهِيَّتِهِ، إِنَابَةَ عُبُودِيَّةٍ وَمَحَبَّةٍ ٤

١- كل مسلم دخل تحت عهد الله يوم قال: (لا إله إلا الله) فكما دخلت تحت العهد أولًا، عليك أن تفي به ثانيًا.

٢- أنت قلت بلسانك: (سمعنا وأطعنا / لبيك اللهم لبيك / إياك نعبد) لكن هل حالك يصدق قولك؟ قال الحسن: (لك قول وعمل، وعملك أولى بك من قولك) معنى الإنابة حالًا: أن تتحول الكلمات إلى واقع

٣- هذه الإنابة: يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وهي فطرية اضطرارية

٤- ليست إنابة ألمٍ فقط، بل إنابة حبٍّ وخضوعٍ دائم، وهي تتضمن أربعة أمور، **ولا يُسمّى العبد منيبًا حتى تجتمع فيه هذه الأربع.**

أ- المحبة ب- الخضوع ج- الإقبال عليه د- الإعراض عما سواه

الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ

قَالَ: وَإِنَّمَا يَسْتَقِيمُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ إِصْلَاحًا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

١- بِالْخُرُوجِ مِنَ التَّبِعَاتِ ١

٢- وَالتَّوَجُّعِ لِلْعَثَرَاتِ ٢

٣- وَاسْتِدْرَاكِ الْفَائِتَاتِ ٣

فَصْلٌ

قَالَ: وَإِنَّمَا يَسْتَقِيمُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ عَهْدًا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

١- بِالْخَلَاصِ مِنْ لَذَّةِ الذَّنْبِ ٤

٢- وَبِتَرْكِ الِاسْتِهَانَةِ بِأَهْلِ الْغَفْلَةِ، تَخَوُّفًا عَلَيْهِمْ ٥

٣- مَعَ الرَّجَاءِ لِنَفْسِكَ، بِالِاسْتِقْصَاءِ فِي رُؤْيَةِ عِلَّةِ الْخِدْمَةِ ٦

١- أي: أن تخرج من آثار الذنب وتَبِعاته، لا من الذنب فقط

٢- وهذا من أصدق علامات حياة القلب، وله معنيان:

المعنى الأول: أن يتوجع لعثرته هو إذا أذنب

المعنى الثاني: أن يتوجع لعَثْرة أخيه

٣- ليس فقط أن تترك المعصية، بل أن تعوض ما فاتك من الطاعات

٤- ليس المقصود ترك الذنب فقط، بل الخلاص من التلذذ به في القلب.

٥- المنيب لا ينظر إلى العصاة بعين التعالي، بل بعين الشفقة، يرجو لنفسه الرحمة، ويخاف على غيره النقمة، لأنه يعرف: أنه كان مثلهم.

٦- الرجاء لنفسك بالاستقصاء في رؤية علة الخدمة، أي: وأنت تعمل لله، لا تعتمد تعتمد على عملك، بل تفتّش عن تقصيرك فيه، وتمحيصه من شوائب النفس: هل هو خالص لله؟ أم فيه حظ نفس خفي؟ هل أفرح به لمدح الناس؟ هل أعتمد عليه؟ هل أرى نفسي به؟ فقد يعمل العبد العمل في الخفاء وهو غير خالص، ويعمل أمام الناس وهو خالص تمامًا، العبرة بحقيقة القلب لا بصورة الحال.

فَصْلٌ

قَالَ: وَإِنَّمَا يَسْتَقِيمُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ حَالًا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

١- بِالْإِيَاسِ مِنْ عَمَلِكَ ١

٢- وَبِمُعَايَنَةِ اضْطِرَارِكَ ٢

٣- وَشَيْمِ بَرْقِ لُطْفِهِ بِكَ ٣ والله أعلم

١- هو لا يعني ترك العمل، بل سقوط الاعتماد عليه، وله معنيان:

المعنى الأول: الإياس من رؤية نفسك فاعلًا مستقلًا، أن ترى أن الله هو الفاعل الحق، وأن: مشيئته سبقت مشيئتك

المعنى الثاني: الإياس من النجاة بالعمل: أي أن ترى أن عملك - مهما عظم - لا يُدخلك الجنة بذاته، وإنما النجاة برحمة الله وفضله

٢- إذا يئس من عمله ابتداءً، ويئس من النجاة به انتهاءً، شهد نفسه مضطرًا إلى الله في كل ذرة منه، ليس اضطرارًا عارضًا، بل اضطرارًا ذاتيًّا

٣- إذا تحقق الاضطرار، وسقط الاعتماد على العمل، انفتحت عين القلب لرؤية اللطف، "شيم برق لطفه" أي: يلمح في كل ما هو فيه آثار العناية السابقة، فيرى أن: الهداية لطف / التوبة لطف / الطاعة لطف / حتى البلاء لطف / حتى شعوره بالفقر لطف، فيعلم أن: الله هو المحسن بالسبب والمسبب / وهو المعطي قبل السؤال / والنعم قبل الاستحقاق، فيصير قلبه بين: افتقار تام، وامتنان عظيم، ومحبة صادقة

الليلة التاسعة

اليقين

.. **أما بعد:** فهذه مقتطفات من كلام ابن القيم في شرحه لمنزلة اليقين من كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ١١٨)، إذ يقول: (وَمِنْ مَنَازِلِ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] مَنْزِلَةُ الْيَقِينِ

حَقِيقَةُ الْيَقِينِ وَالْأَقْوَالُ فِيهِ

وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ مَنْزِلَةُ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ ١

فَالْيَقِينُ رُوحُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ الَّتِي هِيَ أَرْوَاحُ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ ٢

والتَّوَكُّلُ ثَمَرَة اليقين وَنَتِيجَتُهُ، وَلِهَذَا حَسُنَ اقْتِرَانُ الْهُدَى بِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} [النمل: ٧٩] فَالْحَقُّ: هُوَ الْيَقِينُ ٣

وَاخْتُلِفَ فِيهِ: هَلْ هُوَ كَسْبِيٌّ، أَوْ مَوْهِبِيٌّ؟ **وَالتَّحْقِيقُ:** أَنَّهُ كَسْبِيٌّ بِاعْتِبَارِ أَسْبَابِهِ، مَوْهِبِيٌّ بِاعْتِبَارِ نَفْسِهِ وَذَاتِهِ

قَالَ: وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ الْيَقِينِ:

١- قِلَّةُ مُخَالَطَةِ النَّاسِ فِي الْعشْرَةِ ١

١- قال تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} فالإمامة = (ثمرة صبر + يقين)

٢- اليقين هو روح الأعمال: لأن أعمال القلوب هي أصل أعمال الجوارح، واليقين هو روح أعمال القلوب

٣- الحق = اليقين / والتوكل = أثر هذا الحق في القلب، إذا وصل اليقين إلى القلب: قال: امتلأ نورًا وإشراقًا، فتنتفي عنه: (الشكوك السخط / الهموم) ويمتلئ بـــ: (المحبة / الخوف / الرضا / الشكر / الإنابة) فالْيَقِينُ مادة المقامات كلها.

٢- وَتَرْكُ الْمَدْحِ لَهُمْ فِي الْعَطِيَّةِ ٢

٣- وَالتَّنَزُّهُ عَنْ ذَمِّهِمْ عِنْدَ الْمَنْعِ٣

وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِهِ أَيْضًا:

١- النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ٤

٢- وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ٥

٣- وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِ فِي كُلِّ حَالٍ٦

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: الْيَقِينُ هُوَ اسْتِقْرَارُ الْعِلْمُ الَّذِي لَا يَنْقَلِبُ وَلَا يُحَوَّلُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ فِي الْقَلْبِ ٧

وَقَالَ ابْنُ عَطَاءٍ: عَلَى قَدْرِ قُرْبِهِمْ مِنَ التَّقْوَى أَدْرَكُوا مِنَ الْيَقِينِ ٨

وَقِيلَ: الْيَقِينُ هُوَ الْمُكَاشَفَةُ١ ، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

١- ليس اعتزال الناس مطلقًا، وإنما قلة التعلّق بهم.

٢- أي: إذا أعطاك الناس مالًا أو معروفًا، فلا تمدحهم مدح تعظيمٍ وإجلالٍ قلبيّ.

٣- أي: إذا مُنِعت شيئًا فلا تذم الناس، ولا تعتقد أنهم حجبوا عنك رزقك، صاحب اليقين يعلم: أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٤- أي: رؤية أفعال الله خلف الأحداث، لا يرى: مرضًا فقط، بل يرى: تقدير الله، لا يرى: رزقًا فقط، بل يرى: فضل الله.

٥- أي: كثرة الاستخارة، والدعاء، والاستشارة مع التوكل.

٦- هذه خلاصة اليقين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الاستعانة ليست فقط عند المصائب، بل: (عند الطاعة، وعند ترك المعصية، وعند اتخاذ القرار)

٧- أي: أن يصبح الإيمان ثابتًا رسوخ الجبال، لا تزعزعه شبهة، ولا تهزه فتنة، ولا تغيره ظروف.

٨- كلما ابتعد العبد عن المعصية، صفا قلبه، فصار أقرب لرؤية الحق.

أ- مُكَاشَفَةٌ فِي الْأَخْبَارِ ٢

ب- وَمُكَاشَفَةٌ بِإِظْهَارِ الْقُدْرَةِ ٣

ج- وَمُكَاشَفَةُ الْقُلُوبِ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ ٤

وَقَالَ الْجُنَيْدُ: قَدْ مَشَى رِجَالٌ بِالْيَقِينِ عَلَى الْمَاءِ، وَمَاتَ بِالْعَطَشِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ يَقِينًا ٥

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ: الْيَقِينُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

يَقِينُ خَبَرٍ ٦

وَيَقِينُ دَلَالَةٍ ٧

وَيَقِينُ مُشَاهَدَةٍ ٨

= _____

١- المكاشفة: ظهور الشيء للقلب كظهور المرئي للعين، أي: أن يصبح الإيمان محسوسًا في القلب كأنك تراه، وهذا هو معنى حديث الإحسان

٢- أي: تصديق الغيب حتى يصير كالمشاهد

٣- أي: أن ترى آثار قدرة الله في الكون فتزداد يقينًا.

٤- أي: أن ينكشف للقلب معنى التوكل، أو الرضا، أو الخوف، فيصير حيًّا بها

٥- المعنى: الكرامة ليست دليلًا على كمال اليقين، قد يُعطى العبد خرق عادة، وقد لا يُعطاه، والأفضل قد يُبتلى.

٦- يقين الخبر: هو: سكون القلب إلى خبر المُخبِر، وتوثُّقه بصدقه، في حق المؤمن: المُخبِر هو الله ورسوله ﷺ والخبر هو أخبار الغيب: الجنة، النار، البعث.

٧- يقين الدلالة: هو أن يُقيم الله للعبد – مع تصديقه بالخبر – الأدلة والبراهين التي تشهد لصدق الخبر، وهنا يجتمع: (الثقة بالمُخبِر / ظهور الشواهد المؤيدة للخبر).

٨- يقين المشاهدة: يقين المكاشفة (المرتبة العليا) هنا ينتقل الأمر من: (تصديق + دليل) إلى: شهود قلبي مباشر، بحيث يصير المخبر به للقلب كأنه مرئي للعين، لا بمعنى رؤية حسية، بل بمعنى رسوخ لا يبقى معه تردد.

تَعْرِيفُ ابْنِ الْقَيِّمِ لِلْيَقِينِ

قَالَ صَاحِبُ "الْمَنَازِلِ" رَحِمَهُ اللَّهُ: الْيَقِينُ: مَرْكِبُ الْآخِذِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ ١

وَهُوَ غَايَةُ دَرَجَاتِ الْعَامَّةِ٢

وَقِيلَ: أَوَّلُ خُطْوَةٍ لِلْخَاصَّةِ ٣

١- المعنى: كما يركب المسافر دابته للوصول إلى مقصد بعيد، فإن اليقين هو المركب الذي يحمل السائر على الطريق إلى الله.

٢- ليس المعنى أن العامة إذا وصلوا إلى اليقين توقفوا عن الترقي، بل المراد عند صاحب "المنازل": أن العامة غاية سيرهم رسوخ الإيمان وزوال الشك، فإذا استقر في القلب: صدق الخبر، وانتفى التردد، وثبت الاعتقاد، فهذا كمالهم، أي أن: همّتهم تقف عند مقام التصديق الراسخ

٣- الخاصة عنده: أصحاب الهمم العالية في السير القلبي، فهم لا يكتفون بمجرد رسوخ الاعتقاد، بل يطلبون: (دوام الحضور / كمال الجمعية / قوة المشاهدة / صفاء التوحيد في الإرادة) فاليقين عندهم ليس غاية الطريق، بل بداية السير العميق.

لكن هنا تنبيه ابن القيم: ابن القيم لا يرضى بإطلاق عبارات/ مثل: "الفناء في عين الجمع" إذا أُطلقت بلا ضبط شرعي، فهو يقرر: أن اليقين مقام عظيم، وأنه روح الإيمان، وأنه لا يُتصور مقام أعلى منه من جهة العلم، أما ما يسمونه "الفناء" فليس فوق اليقين من حيث الكمال الإيماني، بل هو حالٌ من أحوال الإرادة والجمعية، ولهذا قال: اليقين أخص بالمعرفة، والحضور أخص بالإرادة، فهو يوازن ولا يُسقط أحد الجانبين.

تحرير مهم جدًا: قولك: كل ما دون اليقين عندهم من منازل العامة حتى المحبة، هذا من كلام صاحب المنازل، لكن ابن القيم يُناقش هذا؛ لأن المحبة عنده أعلى من ذلك بكثير، وهي روح الدين، فليس صحيحًا عنده أن المحبة من مقامات العامة فقط.

دَرَجَاتُ الْيَقِينِ

الدَّرَجَةُ الْأُولَى عِلْمُ الْيَقِينِ

وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: عِلْمُ الْيَقِينِ:

أ- وَهُوَ قَبُولُ مَا ظَهَرَ مِنَ الْحَقِّ[١]

ب- وَقَبُولُ مَا غَابَ لِلْحَقِّ[٢]

ج- وَالْوُقُوفُ عَلَى مَا قَامَ بِالْحَقِّ [٣]

الدَّرَجَةُ الثانِيَةُ: عَيْنُ الْيَقِينِ

قَالَ: الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: عَيْنُ الْيَقِينِ[٤] :

وَهُوَ الْمُغْنِي بِالِاسْتِدْلَالِ عَنْ الِاسْتِدْلَالِ[٥]

١- أي: قبول ما أظهره الله لنا من أوامره ونواهيه وشرعه، ويدخل فيه: (الانقياد للأحكام / الإذعان للتكاليف / التسليم للربوبية / الدخول تحت رق العبودية)

٢- أي: التصديق الجازم بكل ما أخبر الله به مما لم نشاهده بأبصارنا، فالغيب هنا ليس مجهولًا، بل هو معلومٌ بخبر الصادق.

٣- الوقوف على ما قام بالحق من أسمائه وصفاته: المقصود: أن يعرف العبد ربَّه كما عرّف اللهُ نفسَه (فيثبت لله: الأسماء / الصفات / الأفعال) إثباتًا يليق بجلاله من غير: (تعطيل / تحريف / إنكار / تمثيل) وهذا هو علم التوحيد العلمي الاعتقادي.

٤- أي: أن صاحب هذه الدرجة: (لم يعد يحتاج إلى الدليل ليُوقِن، ولا إلى الخبر ليُصدِّق) لأنه صار يشاهد بقلبه ما كان يعلمه بعقله.

٥- أي: أن صاحب هذه الدرجة: بلغ من حضور المعنى في قلبه ما أغناه عن طلب الدليل مرة بعد مرة، ليس لأنه يُنكر الأدلة، ولا لأنه يستغني عن الوحي، بل لأنه وصل إلى مقام صار فيه المعلوم حاضرًا شهوديًّا، فهو لم يعد يحتاج إلى إقامة برهان على ما يراه بقلبه رؤيةً واضحة.

=

وَعَنِ الْخَبَرِ بِالْعِيَانِ[١]

وَخَرْقُ الشُّهُودِ حِجَابَ الْعِلْمِ[٢]

الدَّرَجَةُ الثالِثةُ: حَقُّ الْيَقِينِ

قَالَ: الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ حَقُّ الْيَقِينِ:

وَهُوَ إِسْفَارُ صُبْحِ الْكَشْفِ[٣]

ثُمَّ الْخَلَاصُ مِنْ كُلْفَةِ الْيَقِينِ[٤]

= ———————

تنبيه مهم جدًا: هذا لا يعني سقوط الأدلة، ولا إلغاء النظر، ولا الاستغناء عن النصوص، بل يعني: أن الأدلة أدت وظيفتها، فأثمرت شهودًا قلبيًّا ثابتًا، فصار القلب: مستغنيًا عن تكرار طلب البرهان، لا مستغنيًا عن أصل البرهان.

١- الخبر يورث علمًا، أما العيان فيورث شهودًا، فالفرق بين: من يخبرك أن البحر عظيم، ومن يقف أمامه ويراه، فرق هائل.

٢- بمعنى: أنك تعلم الشيء، لكن لم تعايشه بعد، ففي عين اليقين: يرتفع هذا الحجاب، ويصير المعلوم مكاشفًا للقلب، كأن البصيرة تواجه الحقيقة مباشرة.

تنبيه مهم: عين اليقين هنا ليست رؤية حسية، بل شهود قلبي إيماني، هي قوة حضور المعنى في القلب، لا ادعاء مكاشفات حسية.

٣- ليس المقصود ومضة حال عابرة، بل ثبوت نور الإيمان حتى يصير غالبًا على القلب، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ وقال أيضًا: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ فـ"إسفار صبح الكشف" ليس كشفًا صوفيًا غامضًا، بل هو: رسوخ نور الوحي في القلب حتى يصير هو الحاكم على التصورات والإرادات.

٤- في البداية: (تصبر تكلفًا/ تقوم الليل مجاهدة / تغض بصرك مقاومة / تحارب الرياء معالجة) هذه مرحلة المجاهدة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ لكن بعد الرسوخ: يصبح الصبر سجية، والرضا طبعًا، والطاعة راحة

ثُمَّ الْفَنَاءُ فِي حَقِّ الْيَقِينِ ١ ، والل أعلم

١- تصحيح مفهوم الفناء: وهنا الدقة العقدية، فناء مذموم أو ناقص، بعض المتصوفة جعل الفناء: غيبة عن الخلق، أو سقوط الإحساس، أو الغفلة عن الأمر والنهي، وهذا ليس كمالًا، بل نقص، لأن أكمل الخلق لم يكونوا كذلك.

الفناء الصحيح (فناء الصحابة): فناء الإرادة لا فناء الوجود، أي: لا يريد إلا ما يريد الله، لا يحب إلا ما يحبه الله، لا يغضب إلا لله، ولذلك كانوا: في الجهاد، في القضاء، في التعليم، في السوق، في الزواج، في الحكم، لكن قلوبهم معلقة بالله، قال تعالى فيهم: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لم يتركوا التجارة، بل لم تُلههم، هذا هو الفرق الدقيق.

"**بقاء في فناء**": عبارة جامعة، يفنى: الهوى، حظ النفس، طلب المدح، الخوف من الخلق، ويبقى: العمل، التكليف، عمارة الأرض، نصرة الدين، ولهذا كانوا هم القوم، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ جمعوا بين: كمال العلم، كمال العمل، كمال المحبة، كمال الاتباع.

الليلة العاشرة

الحياء

.. أما بعد: فهذه مقتطفات من كلام ابن القيم في شرحه لمنزلة الحياء من كتابه مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٤٧)، إذ يقول: (وَمِنْ مَنَازِلِ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥] مَنْزِلَةُ الْحَيَاءِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق: ١٤]

وَقَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]

وَقَالَ تَعَالَى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر: ١٩]

تَعْرِيفُ الْحَيَاءِ

قَالَ الْجُنَيْدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (الْحَيَاءُ رُؤْيَةُ الْآلَاءِ، وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى الْحَيَاءُ ١

وَحَقِيقَتُهُ: خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبَائِحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّفْرِيطِ فِي حَقِّ صَاحِبِ الْحَقِّ) ٢

أَقْسَامُ الْحَيَاءِ

وَقَدْ قَسَّمَ الْحَيَاءَ عَلَى عَشَرَةِ أَوْجُهٍ:

١- حَيَاءُ جِنَايَةٍ ١

١- تعريف الجنيد للحياء (تعريف تربوي عميق): تعريف مركّب من عنصرين:

١- رؤية الآلاء (نِعَم الله): أن ترى: ستره عليك / إحسانه إليك / حلمه عنك

٢- رؤية التقصيرك أن ترى: ضعف عبادتك / سوء عملك / تقصيرك في حقه

فإذا اجتمع: عظمة الإنعام + ضعف العمل = تولد شعور داخلي اسمه: الحياء.

٢- الحياء ليس انفعالًا عابرًا، بل قوة مانعة من القبائح والتفريط، حياؤك من الله يقتضي أن تستر عورتك

٢- وَحَيَاءُ تَقْصِيرٍ٢

٣- وَحَيَاءُ إِجْلَالٍ٣

٤- وَحَيَاءُ كَرَمٍ٤

٥- وَحَيَاءُ حِشْمَةٍ٥

٦- وَحَيَاءُ اسْتِصْغَارٍ لِلنَّفْسِ وَاحْتِقَارٍ لَهَا٦

٧- وَحَيَاءُ مَحَبَّةٍ٧

٨- وَحَيَاءُ عُبُودِيَّةٍ٨

٩- وَحَيَاءُ شَرَفٍ وَعِزَّةٍ٩

١٠- وَحَيَاءُ الْمُسْتَحْيِي مِنْ نَفْسِهِ ١٠

= _____

١- هو حياء المذنب بعد وقوع الذنب

٢- هو حياء العابد مع كثرة طاعته، لأنه يرى عبادته دون ما يستحق الله.

٣- حياء ناشئ عن معرفة الله وعظمته، كلما عظمت معرفتك بالله، عظم حياؤك.

٤- حياء صاحب الخلق الرفيع.

٥- حياء مراعاة المقام.

٦- أن يستحيي العبد أن يسأل ربه احتقارًا لنفسه

٧- من أرقّ الأنواع، هو حياء المحب من محبوبه، إذا ذُكر محبوبه اضطرب قلبه، إذا رآه فجأة ارتاع

٨- حياء ممتزج من: (محبة / خوف / رؤية تقصير) العبد يرى أن عبادته لا تليق بعظمة معبوده، ولهذا شُرع الاستغفار بعد الطاعات.

٩- حياء النفس الكبيرة إذا صدر منها ما دون قدرها مِنْ بَذْلٍ أَوْ عَطَاءٍ وَإِحْسَانٍ.

١٠- يعني: إنك توصل لمرحلة يكون عندك ضمير حيّ قوي لدرجة إنك ما تحتاج أحد يراقبك أو يلومك... أنت بنفسك تستحيي من نفسك

الْحَيَاءُ أَوَّلُ مَدَارِجِ أَهْلِ الْخُصُوصِ

قَالَ صَاحِبُ " الْمَنَازِلِ": الْحَيَاءُ: مِنْ أَوَّلِ مَدَارِجِ أَهْلِ الْخُصُوصِ

يَتَوَلَّدُ مِنْ تَعْظِيمٍ مَنُوطٍ بِوُدٍّ ١ قَالَ: وَهُوَ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

الدَّرَجَةُ الْأُولَى

الدَّرَجَةُ الْأُولَى: حَيَاءٌ يَتَوَلَّدُ مِنْ عِلْمِ الْعَبْدِ بِنَظَرِ الْحَقِّ إِلَيْهِ ٢

فَيَجْذِبُهُ إِلَى تَحَمُّلِ هَذِهِ الْمُجَاهَدَةِ ٣

وَيَحْمِلُهُ عَلَى اسْتِقْبَاحِ الْجِنَايَةِ ٤

وَيُسْكِتُهُ عَنِ الشَّكْوَى ٥

١- إذا اجتمع التعظيم مع المحبة، يطلع بينهما شيء اسمه الحياء، لأن:

- لو عندك تعظيم بدون محبة ⟵ يصير خوف فقط.
- ولو عندك محبة بدون تعظيم ⟵ يصير جرأة أو تساهل.
- لكن إذا اجتمعوا ⟵ يصير حياء.

٢- يعني الفكرة الأساسية هنا: مو مجرد إيمان نظري أن الله يرى... بل أن قلبك حاضر مع هذا المعنى، إذا استقر في قلبك أن الله الآن يراك، يسمعك، ويعلم سرك... ينشأ في داخلك حياء تلقائي.

٣- ماذا يفعل هذا الحياء؟ يجذبك لتحمل المجاهدة: يعني يصبّرك على الطاعة، تصلي تصلي بخشوع أكثر، تجاهد نفسك عن المعصية، لأنك تشعر أنك تحت نظر الله.

٤- يجعلك تستقبح الذنب: وهنا نقطة دقيقة جدًا: هناك فرق بين:

- أن تترك الذنب خوفًا من العقوبة. وأن تتركه حياءً ممن يراك.

الأول خوف من الوعيد، الثاني حياء من النظر الإلهي، والحياء هنا أعلى من مجرد الخوف.

٥- إذا نزل بك بلاء، لا تكثر الشكوى للخلق؛ لأن الشكوى لهم أحيانًا فيها معنى معنى كأنك تقول: "لماذا يفعل الله بي كذا؟" فيمنعك الحياء أن تشتكي الله إلى خلقه.
=

الدَّرَجَةُ الثانِيَةُ

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: حَيَاءٌ يَتَوَلَّدُ مِنَ النَّظَرِ فِي عِلْمِ الْقُرْبِ

فَيَدْعُوهُ إِلَى رُكُوبِ الْمَحَبَّةِ ١

وَيَرْبُطُهُ بِرُوحِ الْأُنْسِ ٢

وَيُكَرِّهُ إِلَيْهِ مُلَابَسَةَ الْخَلْقِ ٣

لكن – انتبه – لا يمنعك أن تشتكي إلى الله، بل الشكوى إليه: (فقر / ذل / عبودية) وهذا لا ينافي الحياء، بل يكمله.

١– ماذا يفعل هذا القرب في القلب؟ يدعوه إلى ركوب المحبة: يعني: القلب إذا شعر أن الله قريب منه هذا القرب الخاص، يندفع إلى محبته بقوة.

وكلما زادت المحبة ⟵ ازداد القرب.

وكلما ازداد القرب ⟵ زادت المحبة، فهي دائرة تصاعدية.

٢– يربطه بروح الأنس: الأنس يعني: الراحة والسكون والاطمئنان بالله، فيصير القلب: (يستوحش من الغفلة، ويأنس بالذكر / يرتاح بالخلوة / يجد لذة في القرب)

٣– يكرّه إليه ملابسة الخلق: ليس المقصود ترك الناس أو قطع العلاقات، لكن المقصود: كلما قوي أنسك بالله، صار قلبك أقل تعلقًا بالخلق، قد تجلس معهم، لكن قلبك ليس معلقًا بهم، ولهذا قال: قلبه وروحه في ملأ (مع الله) وجسده بين الناس يعني يعيش بينهم ظاهرًا، لكن سره متعلق بالله.

مسألة القرب (مهم جدًا): القرب هنا ليس قرب مسافة، ولا اختلاط، ولا امتزاج، هو قرب يليق بالله، يتعلق بالإجابة، والإثابة، والمحبة، والرعاية، مثل: إنسان يحب شخصًا بعيدًا عنه جدًا، لكنه يشعر أنه أقرب إليه من جليسه، هذا قرب معنوي قلبي، لا مكاني.

الدَّرَجَةُ الثالِثة

الدَّرَجَةُ الثَّالِثَةُ: حَيَاءٌ يَتَوَلَّدُ مِنْ شُهُودِ الْحَضْرَةِ ١

وَهِيَ الَّتِي لَا تَشُوبُهَا هَيْبَةٌ ٢

وَلَا تُقَارِنُهَا تَفْرِقَةٌ ٣

وَلَا يُوقَفُ لَهَا عَلَى غَايَةٍ ٤

١- يعني أن القلب ينجذب بكليّته إلى الله، فينصرف عن الالتفات إلى الخلق، ويغيب عمّا سواه من شدة حضور قلبه معه، ليس المقصود غيابًا حسيًا، بل حضور قلبي كامل.

٢- الهيبة تكون غالبًا في مقام التعظيم مع بقاء مسافة شعورية، أما هنا، فالعبد مستغرق في الحضور والمحبة والقرب، فلا يشعر بتلك الرهبة المنفصلة، بل بحياء ممتزج بأنس، هو حياء صفاء، لا حياء خوف.

٣- التفرقة = التفات القلب إلى أشياء متعددة، في الدرجات السابقة: هناك نظر إلى النفس ، أو إلى العمل ، أو إلى الخلق، أما هنا: القلب مجتمع على الله وحده، لا التفات لنفسه، ولا لحاله، ولا حتى لحيائه.

٤- كل من يصل إلى شيء محدود يقف عنده، أما من دخل هذا المقام، فهو في قرب لا نهاية له، لأن الله سبحانه لا نهاية لجلاله، ولا نهاية لفضله، ولا نهاية لعطائه

تم بحمد الله